جاء ضابط المخابرات المسئول عن المنطقة وبدأ يستعرض الرجال واحداً واحداً، ثم يناديهم واحداً واحداً وهو يجلس في سيارته وبابها مفتوح، ليقف الواحد منهم عنده والبنادق مصوبة إليه فيبدأ بالأسئلة عشرات بل مئات الأسئلة، علّه يحصل على أدنى معلومة تفيده في تشخيص الفدائيين.

بعد أيام رفع منع التجول وذهبنا للمدرسة كالعادة، أثناء الفسحة بعد ثلاث الحصص الأولى خرجت إلى دورات المياه، هناك وجدت الأولاد يتسلقون جداراً ليس عالياً وينظرون من فوقه ويتحدثون مع أولاد آخرين، فقدمت نحو الجدار وتسلقت مثل الآخرين ونظرت فوجدت أننا نُطِلُّ على المدرسة الإعدادية التي يدرس فيها أخي حسن، الأولاد الذين يدرسون في المدرسة يبدون كباراً، فهم أكبر مني وأطول مني بكثير.

في هذا اليوم ونحن في طريق عودتنا من المدرسة للبيت أنا وأخي محمود وابن عمي إبراهيم ومن بين مئات الطلبة الذين كانوا يملأون الشارع شاهدت ابن عمي حسناً على بعد عشرات الأمتار مني، وبيني وبينه عدد كبير من الطلاب والطالبات، كأني رأيت حسناً يرفع يده نحو فمه ويضع شيئاً في فمه، هل هو سيجارة؟ ثم رأيته ينزل يده وينفث من فمه الدخان، شددت يديّ محمد وإبراهيم اللذين كانا يمسكان بيدي كالعادة، وهما ينظران إلي بدهشة أشرت لهما بعيني نحو حسن، لم يفهماني وتساءلا بتعجب واستغراب ماذا حصل (إيش مالك) فقلت حسن!! تساءلا: ما باله؟ (ماله) كان حسن قد انتبه أننا خلفه فألقى عقب السيجارة التي كان يدخنها ولم ير محمد وإبراهيم شيئاً، وكنا قد وصلنا فآثرت الصمت خشية أن تنالني إحدى ركلاته.

حين عدنا للبيت وجدت أمي وحدها بعد أن سنحت الفرصة فتقدمت منها هامساً في أذنها (ياما شفت حسن ابن عمي بدخن!) التفتت إليّ أمي بنظرة حادة وقالت (أكيد أنت غلطان ومتوهم، ما تقولش ها الحكي لحد، ماشي) هززت رأسي موافقاً وانطلقت ولكن لم يفتني في ذلك اليوم أن أمي قد اختلت بحسن ابن عمي وكانت تتحدث معه وتسأله وهو مُطأطئ الرأس دون أن أسمع حديثهما، بعد أيام بعد أن عدنا من المدرسة سمعت أخي محموداً يتحدث مع أمي أن ابن عمي حسن لم يذهب في هذا اليوم للمدرسة، قد تسرب منها رأيت الحيرة في وجه أمي فما عساها أن تفعل لعلاج هذه المشكلة.